Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

على طبيعة الذكريات المسرودة، التي تبدو في أغلبها مرويات انتهت إلى سمع الساردة، وليست، في أغلبها، من جنس الوقائع التي قد تكون حبلت بها الذات. ولهذا أيضا تجد الشخصية الطفولية على حال من الفقدان المستديم ، مثلما تبدو العلاقات المنسوجة في الدوائر الفضائية التي عبرتها سريعة التأثر بالنسيان.

إن السيرة الذاتية، من هذا المنظور، تستعير الفضاء مجالا لإبتعاث ذكريات منسية أو موزعة، حتى حين تُروى هذه الذكريات بطريقة منقولة (الجدة، الخالة، الأم)، أو تكون ذكريات مروية ترتبط بأحداث ومواقف شخصية. ويبدو أن إدراج هذه الذكريات ضمن المحكي الذاتي، يضفي على شخصية الطفولة غير المستقرة، طابعا سحريا، أو يحولة إلى طفولة محلوم بها، وحين تستعاد لا تشخص الوقائع، ولكنها تبعث على الشعور بالتوله والفرح. وهكذا يغدو الإنتقال بين الفضاءات مزية، لا خللا. ومن الضروري أن نفهم الكتابة السيرذاتية هنا كمحاولة لترميم الذات المتصدعة، وشعور الأنا بالتوله والفرح، لأنه شعور يحايث حاضر الكتابة، كإنجاز تلفظي يحمل إلى القارئ، ونحن نقرأ النص في سياقه التداولي، معاني الاختلاف والتميز. فما كل الطفولات عاشت تمزقها الذاتي بين الفضاءات، ولا هو بمقدور معظمها أن تجعل من الترحل وعيا بانيا للهوية. إنه خطاب الاختلاف الذي نستدل عليه بالحجاج الذي كان للمؤلفة مع من عيّرها («أستاذ مساعد في كلية الآداب بالجزائر العاصمة ومسؤول في منظمة الشباب») قائلا: «لقد خنت أباك....» (ص 155)، فلا تجيبه إلا بقولها: «أولا أنا مغربية ولي الحق أن أعمل في أي جهاز مغربي، أليست هذه هي روح الديموقراطية. ثانيا، أنا الآن صراحة أستغرب أن يكون أبي قد انساق وراء أفكار المعارضة تلك..» (ص 156). فالخيانة في معرض التبادل اللفظي بين هو وهي (حجة) تُقَابَل بالإستغراب الذي في معناه اختلاف القيم الأخلاقية والإيديولوجية بينهما من جهة، وامتلاك الأنا للمبررات التي تجعلها على نقيض أبيها (أحمد أبو زيد) من حيث المعتقد والرؤية.

الميثـــاق التلفظـي

يصلح الحجاج المذكور مدخلا لتناول هذه العلامة المميزة للسيرة الذاتية، لأنه يفيد من جانبين: ارتباطه في النص بتاريخ محدد (1976) («بعدما رجعت من مهرجان الشباب العربي المنظم في بغداد» (ص 155). ذلك أننا نجد هنا مظهرا توثيقيا تقاربه الكتابة للتصريح بالحقيقة، ونعتبره قرينة على التوثيق الذي بمقدورنا أن نراجعه، أو نتأكد منه عند الضرورة. كما نعتبره إحالة على زمن ذاتي معين يؤرخ لواقعة مروية. مثلما يفيدنا، من الجانب الثاني، للقول إن التلفظ في البيان الحجاجي يستخدم الخطاب الإقناعي وسيلة لتأكيد صدق الواقعة المروية، فهو بمثابة إشهاد الذات (الأنا) على صدق القول من خلال القرائن التي قد تفيد السامع أو المتلقي لذلك.